www.quranonlinelibrary.com

من أسرار لغة القرآن الكريم

٤

للدكتور علي محمد حسن

نقصد بالفاصلة التى نبحث عن سرها البلاغى تلك التى تكون تذييلا لمضمون آية كريمة ، وكان — فيما يقع فى وهم واهم — من الممكن ان تحل فاصلة اخرى محلها ، اما الفاصلة التى تكون جزءا من جملة الآية فلا بحث لنا عن سرها البلاغى اذ لا يمكن الاستغناء عنها فى تمام المعنى ، وان امكن البحث فيها من نواح اخرى .

فنحن — مثلا — نبحث عن الفواصل فى قوله تعالى — من سورة النحل — : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » .

اذ يلفت نظرنا ، ونظر كل باحث فواصل هذه الآيات (يتفكرون — يعقلون — يذكرون) ، ونسأل لم ختمت كل آية بالفاصلة التى ختمت بها دون غيرها .. ؟ ومثل هذه الفواصل فى القرآن الكريم كثير .

ولكننا لا نبحث هذا البحث البلاغى عن الفاصلة الاولى فى هذه الآيات (فيه تسيمون) من حيث انها فاصلة ، لأنها من صلب الجملة ، وكذلك — مثلا — لا نبحث هذا البحث عن فواصل سورة (الحجر) لأنها كلها اركان فى آياتها ؛ ومن ذلك قوله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون .

www.Quranonlinelibrary.com

ـرار الفواصل

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » . ومثل هذه الفواصل في القرآن الكريم كثير أيضا .

وبعبارة أخرى : من فواصل القرآن ما يمكن أن يسأل عنها : لماذا كانت هذه الفاصلة بالذات ؟ بل ربما سأل باحث : لم اوثرت هذه الفاصلة على غيرها ؟ بل ربما قال جاهل ضال : الم يكن غيرها أولى بها في هذا المكان ؟ ولذلك نعنى ـ كما عنى من قبلنا ـ بالبحث عن الأسرار البلاغية التي اوجبت أن تكون هذه الفاصلة هي المتعينة في هذا الموضع، ولا يمكن ـ بلاغة ـ أن تحل فاصلة أخرى محلها ومن فواصل القرآن ما لا يتجه فيه شيء من هذه الاسئلة، فليست من مجال بحثنا هذا .

وفي آيات سورة (الحجر) نجد مجالا آخر لبحث بعض الفواصل ، تلك التي وقعت أوصافا لموصوفات سبقتها : (شيطان رجيم ـ شهاب مبين ـ شيء موزون ـ بقدر معلوم ـ حمإ مسنون ـ جزء مقسوم ـ بغلام عليم ـ لبإمام مبين ـ الصفح الجميل ـ الخلاق العليم ـ القرآن العظيم ـ النذير المبين) .

فقد يعنى الباحث أن يقف عند كل وصف من هذه الاوصاف ليسأل : لم اوثر هذا الوصف دون غيره .. ؟ وسيجد ـ ولا شك ـ أجوبة مقنعة واضحة .

وكل من هذين النوعين يسمى فاصلة ، لأنها من التفصيل ، وبها يتم المعنى ، وان كان المعنى الاولى قد تم قبلها ، وسميت فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك ان آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، وهي مأخوذة من قوله تعالى : **« كتاب فصلت آياته »** (فصلت آية ٢) . وقوله سبحانه : **« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي »** (فصلت آية ٤٤) ، وقوله عز وجل : **« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »** (هود آية ١) .

وقبل أن آخذ في بيان أسرار

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بعض الفواصل القرآنية ، والتى ستكون فى هذا البحث من نوع خاص ، هو تلك الفواصل المتقاربة التى تتجاور فى آيات متتالية ، والتى يكون اقترانها مدعاة للتساؤل المتعطش الى المعرفة ليصل الى الجواب الذى يروى الغلة ويثلج الصدر ، كما هو الشأن فى آيات الأنعام التى ذكرت فى أول هذا الفصل .

أقول : قبل الأخذ فى بيان الأسرار البلاغية لمثل هذه الفواصل أحب ان انبه الى أمور تبينتها بعد تأمل دام طويلا .

الأول : نبه العلماء الى أن سور القرآن الكريم تختم بمثل المعنى الذى تفتح به ، وقد كان ذلك واضحا فى كثير من السور ، وخفيا فى بعضها ، ومع خفائه حاولوا أن يلتمسوا صلة ما بين أول السورة وآخرها .

فمن امثلة ذلك سورة (البقرة) فى أولها حديث عن القرآن وعن المتقين : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ، وفى آخرها : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » . وسورة النساء . جاء فى مفتتحها قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » وفى منتهاها : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » الى آخر الآية . « والله بكل شىء عليم » .

وفى أول سورة (يوسف) : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) ففى الآية قص القصص على الرسول ، بوحى القرآن اليه ، وفى آخرها نفس الأمرين : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فعند بعض المفسرين ان المراد بقوله تعالى : « ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء » القرآن الكريم ، وأول سورة ابراهيم : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، وفى آخرها : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب » . وفى سورة الواقعة ذكر لأصناف ثلاثة أصحاب الميمنة ، والسابقون ، وأصحاب المشئمة ، وفى آخرها ذكر للمقربين وأصحاب اليمين ، والمكذبين الضالين . وهذا كثير لمن تأمل . حتى السور التى ابتدئت بالقسم تكرر فى أولها وآخرها المقسم عليه ، فمثلا فى سورة القيامة : « لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة . أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه . بلى قادرين على ان نسوى بنانه . بل يريد الانسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامه » فالمقسم عليه البعث ، وفيه ما يشير الى غفلة الانسان ، وقد أعيدت هذه المعانى على جهة التوكيد لما سبق : « أيحسب الانسان أن يترك سدى . الم يك نطفة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

ومن النوع الثانى ، وان كان الخفاء ليس عميقا ما حاوله القاضى عبد الجبار من عقد اتفاق بين أول سورة ابراهيم وآخرها ، وقد ذكرنا هذه السورة فى النوع الأول على ان الاتفاق بين (كتاب انزلناه اليك) و (هذا بلاغ للناس) فان كلا من النصين يتحدث عن القرآن ، ولكن القاضى حاول أن يوفق بين : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » وبين « وليذكر أولو الألباب » قال القاضى — وقد نقل قوله الفخر الرازى فى تفسيره .. (أول هذه السورة وآخرها يدل على أن العبد مستقل بفعله ، ان شاء أطاع ، وان شاء عصى . أما أول هذه السورة فهو قوله تعالى : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، فانا قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد الخلق كلهم الى الدين والتقوى ، ومنعهم عن الكفر والمعصية وأما آخر السورة فلأن قوله : « وليذكر أولو الألباب » يدل على أنه تعالى انما انزل هذه السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواعظ لأجل أن ينتفع الخلق بها فيصيروا مؤمنين مطيعين ، ويتركوا الكفر والمعصية ، فظهر ان أول هذه السورة وآخرها متطابقان فى افادة هذا المعنى » .

والقاضى انما حاول هذه المحاولة لينصر مذهبه الاعتزالى ، وكأنه أحس بأن الآيتين تصلحان حجة لأهل السنة على مذهبهم فجعلهما حجة لمذهبه .

أقول : نبه العلماء الى هذه الظاهرة من ظواهر القرآن الكريم فحثنى هذا التنبيه — وأنا أدرس الفواصل — الى البحث والتأمل : هل هناك صلة بين فواصل أواخر السور وبين أوائلها ؟ وقد أهتديت فى ذلك الى أشياء ربما تكون ممهدة لبحث واسع شامل يكشف لنا الى أى مدى ، وعلى أى وضع يكون هذا الاتفاق .

لاحظت ان الفاصلة فى آخر السورة قد تتفق مع الفاصلة الأولى فى السورة ، وقد تتفق مع بدء السورة اتفاقا ما .

مثلا : الفاصلة الأولى فى سورة (الجاثية) : « العزيز الحكيم » والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » وفى سورة (الحشر) الفاصلتان الأولى والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » .

وفى أول سورة (الزمر) : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » وفى آخرها : (وقيل الحمد لله رب العالمين » . ورب العالمين هو الذى يكون عزيزا حكيما .

وفى أول سورة (فصلت) : « الرحمن الرحيم » وفى آخرها : « الا أنه بكل شىء محيط » وكلا الفاصلتين وصف لله تعالى ، الأولى بالرحمة الشاملة ، والاخرى بالاحاطة الكاملة .

وأول سورة (المائدة) : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ما يريد » وآخرها: «لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير » . والذي هو على كل شيء قدير هو الذي يحكم ما يريد .

والفاصلة الأولى في سورة (نوح) « عذاب اليم » والأخيرة : « ولا تزد الظالمين الا تبارا » والمناسبة واضحة بين الفاصلتين ، وفي أول سورة مريم « نداء خفيا » وفي آخرها : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

وسورة « الانفال » بدئت بقوله تعالى : (يسألونك) وختمت بقوله سبحانه : (ان الله بكل شيء عليم) والصلة أقوى ما تكون بين السؤال والعلم .

وفي سورة (الدهر) ملاحظة أدق ذلك أن أولها : « هل اتى على الانسان حين من الدهر » فقد (اتفق المفسرون — كما يقول الرازي — على أن (هل) ههنا وفي قوله تعالى : « هل اتاك حديث الغاشية » (بمعنى قد) ولكن بعض المفسرين قدر قبلها الهمزة أي : « أهل أتى على الانسان » وجعل الاستفهام للتقرير ، فالكلام خبر على كل حال ، وقد جاء في صورة الاستفهام ، فاذا كانت الفاصلة قبل الأخيرة في السورة « ان الله كان عليما حكيما » جاز لنا أن نلتمس ربطا ما بين أول السورة وآخرها ، وجاز لنا أن نفرق بين ما جاء سؤالا صريحا — كما هو الحال في سورة الانفال — وما جاء على صورة السؤال — كما هو الحال في هذه السورة — ربما جاز لنا ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمقاصد كلامه .

وهكذا يمكن أن نتتبع القرآن سورة سورة لنتبين الصلة بين أول السورة وآخرها فيما يتعلق بالفاصلة الأخيرة .

وقد جهدت في البحث عن أحد من علمائنا السابقين يكون قد نبه على شيء من ذلك ، فلم أظفر بطلبتي هذه غير اني وجدت فخر الدين الرازي يشير الى ذلك في ختام تفسيره لسورة النساء ، قال : « واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة ، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى ، فانه قال : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » وهذا دال على سعة القدرة ، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم ، وهو قوله : « والله بكل شيء عليم » وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والالهية والجلالة والعزة وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف » .

وقد يقول قائل : ما جدوى أن نتنبه وننبه الى الصلة بين الفاصلة الأخيرة وأول السورة ؟ ونجيبه بأننا نؤمن ايمانا جازما بأن كل كلمة في القرآن جاءت لحكمة عالية ، وبأن كل ظاهرة في القرآن كذلك ، فاذا جاء شيء ما مرة واحدة فربما لا يلفت النظر ، لكن اذا تكرر وجب أن يكون موضع نظر وتدبر ، وقد نقول إن هذه الظاهرة التي نحن بصددها تشير الى أن السورة كلها في ارتباطها وتناسقها وتكاملها — مهما تعددت أغراضها — كآية واحدة ، وقد نتوقف ونقول اننا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نثبت الظاهرة التى وضحت لنـا ، وننبه اليها فلعله يجيء من يكشف عن سر رائع بديع لها ، ولا بد من ذلك ما دمنا على يقين من أن هذا الصنع هو تقدير العليم الخبير ، وكلام الحكيم البصير .

الأمر الثاني : ولاحظت ان فواصل السورة الواحدة يمكن ان يربطها جميعا رباط واحد ، وهى دائما تتلاءم مع أهداف السورة ، وأحيانا ترتبط سائر الفواصل بالفاصلة الأولى فى السورة ، فاذا اخذنا – مثلا – الفاصلة الأولى فى سورة الانعام « يعدلون » من قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » وجدنا أن بقية فواصل السورة تتفق معها اتفاقا ما نجد – مثلا – هذه الفواصل : (ثم انتم تمترون – الا كانوا عنها معرضين – ما كانوا به يستهزئون – وللبسنا عليهم ما يلبسون – ما كنا مشركين – وما نحن بمبعوثين – فلا تكونن من الجاهلين – ثم هم يصدفون – بما كانوا يفسقون – والله أعلم بالظالمين – فأنى تؤفكون – ونذرهم فى طغيانهم يعمهون – ولكن أكثرهم يجهلون – فذرهم وما يفترون – فلا تكونن من الممترين – سيجزون بما كانوا يقترفون – وان أطعتموهم إنكم لمشركون – بما كانوا يمكرون – ساء ما يحكمون – ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين – وهم بربهم يعدلون) وبدهى أننا لم نستقص فواصل هذه السورة ، ولكن ذكرنا نماذج منها ، ويتبين جليا أن كل هذه الفواصل تشبه الفاصلة الأولى من ناحية المعنى بل من ناحية تركيبها اللفظى أيضا ، فهى كلها كلمات جزلة ، قوية الجرس ، شديدة الوقع ، فاذا تأملنا الفاصلة الأخيرة من هذه السورة وجدناها مناسبة كل المناسبة لكل فواصلها سواء منها ما اتفق مع الفاصلة الاولى أو ما جاء مضادا لها : « ان ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

وقد نبهنى تقارب الفواصل هذا الى أن بعض المعانى يكثر فى بعض السور سواء كانت فى الفاصلة أو فى غيرها ، فمثلا يكثر معنى (العلم) فى سورة التوبة ، فقد تكرر فيها كثيرا فى الفواصل وفى غيرها .

ولعل مرجع ذلك الى انها كشفت عن أحوال المنافقين ، وكذلك نلحظ هذه المادة ، مادة (العلم) تكرر فى سورة يوسف ، وذلك ، فيما يبدو – لان السورة جاءت بقصة ما كان يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى مفتتح السورة تسجيل لذلك : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » . وفى السورة ذكر لاربع رؤى اعطى يوسف عليه السلام علم تعبيرها ، وفى أواخر السورة ما يشير الى ذلك على لسان يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » ثم يكون الخطاب للرسول : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون » .

الأمر الثالث : لاحظت أن ارتباط الفاصلة بالآية التى تليها ارتباط قوى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جدا ، بل أقول إنه ارتباط نفسى لــــه سر عجيب ، علمه عند الله تعالى . فالحافظ للقرآن الكريم ـــ وقد جربت ذلك بنفسى كثيرا ـــ اذا نسى وغيــــر الفاصلة لم يتذكر الآية التى بعدها ، الا اذا كان له بها عهد خاص ، فــــاذا اهتدى الى الفاصلة التى نسيها مر سريعا فى التلاوة ، وكثيرا ما يكــــون تغيير الفاصلة مدعاة الى أن يتــلو آية أخرى من هذه السورة أو مـــن غيرها يكون أولها تلوا لهذه الفاصلة المغيرة ، بل لاحظت أن الحافظ اذا كان له عهد خاص بآية من الآيـــات ، ووصل اليها فى تلاوتـــــه وقد نسى الفاصلة التى قبلها يجد فى نفسه شيئا من عدم الانسجام يدعوه الى أن يراجع المصحف ليعرف ما الفاصلـــة التــــى تسبق هذه الآية .

ولتوضيح ذلك ندعو من يرتاب فى هذا ان يستعيد ما يحفظه من بعـــض القصائد فسيجد أن تغيير قافية بيت لا ينسيه البيت الذى بعده . بل ربما يمر فى القصيدة الى آخرها يلقيهـــا من حفظها ، وقد غير أكثر من قافية فيها ، ولا يتنبه لذلك ، وليس كذلـــك حافظ القـــرآن الكريم ، فانه ـــ كما قلت ـــ يتوقف ، عند تغيير الفاصلة ، فاذا مر شعر بشىء غير عادى فـــى قراءته ، ولعل هذا بعض السر فـــى تيسير القرآن للذكر .

الأمر الرابع : البحث عن أسرار الفواصل ذو أهمية بالغة فى بيـــان بلاغة القرآن ، فهى محك القدرة ، كما أن القافية ـــ ولله المثل الأعلى ـــ محك قدرة الشاعر ، فأحيانا نجـــد بعض الشعراء يضطرون الى القافية اضطرارا ليجيئوا بها مكملـــة للبيت ، ولو ذهبنا نبحث عن معنى لها أحيانا ذلك ، وليس فى فواصل القــــرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لاكمـــال الآية اكمالا ما ، بل لكل فاصلة سرها البلاغى ، عرفنا ذلك أو جهلناه ، وقد سبق القول فى بعض هذه الفصول ان البليغ لو رفع كلمة من القرآن وأدار لسان العرب على أن يأتى بأخرى تسد مسدها لأعياه ذلك .

وقد أردت وأنا أكتب هذا البحث أن أقف على مذاهب العلماء قديمهـــا وحديثها فى النظر الى الفواصـــل . فوجدت أن البحث عن السر البلاغى للفاصلة قديم .

فالزجاج المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول فى ختام قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » من ســـورة النساء ، وقد ختمت الآيـــة بقولـــه سبحانه : « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » يقول الزجاج : وانما ذكر الاختيال هنا لأن المختال يأنف من أقاربه اذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه اذا كانوا ضعفـــاء ، فـــلا يحسن عشرتهم .

ويكمل الرازى كلام الزجاج فيقول : وانما خص الله تعالى هذين الوصفين بالذم فى هذا الموضع ، لأن المختـــال هو المتكبر ، وكل من كان متكبرا فانه قلما يقوم برعاية الحقوق ، ثم أضاف اليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة ، بل لمحض أمر الله تعالى .

وقد أشار الزمخشرى الـــى شىء من ذلك . ولكن هذا المفسر الذى بنى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسيره على المعاني والبيان لم يبسط القول في أسرار الفواصل . نعم نبه ولكن في ايجاز يكاد يكون شديدا في بعض الآى ، مع أنه لم يستقص ، حتى في الفواصل المشكلة يمر سريعا دون أن يتوقف عندها ، فاذا وقف أشار أشارة لا تشفى الغلة .

اما أول من أطال في ذلك — فيما أعلم — فهو فخر الدين الرازي ، وهو يشير الى أنه صاحب هذا الفن ، أو من المعنيين به ، فهو يحاول كثيرا أن يبين سر الفاصلة ، ونراه يقول بعد أن يطيل البيان عن الفواصل للآيات الاولى من سورة (الرعد) : (فهذه اللطائف نفيسة من أسرار علم القرآن ونسأل الله العظيم أن يجعل الوقوف عليها سببا للرحمة والغفران) .

وهناك آراء ينبغي ألا نلتفت اليها ، بل يجب أن ندين أصحابها ؛ من ذلك ما قاله القاضي ابن المنير صاحب (الانصاف على الكشاف) أن هذه الفواصل تكون أحيانا (من باب التفنن) أى انها لم تجىء لسر بلاغي وانما جاءت لمجرد التغيير ، والتفنن ، ومن ذلك ما حكاه صاحب البرهان عن بعضهم انه قال : (ان اختلاف الفواصل قد يكون لاجتناب التكرار) . فهذان الرأيان خطيران لأنهما يسلبان عن بعض الفواصل الأسرار البلاغية، ومع أن (الزركشي) صدر هذا الكلام الذى نقله بكلمة (قيل) مما يدل على أنه لا يستحسنه ، مع ذلك نراه يقع في نفس الخطأ حين يقول : (وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام) ، فيظهر أنه يريد بذلك التحسين اللفظي ، ولكن الرجل نقل عن الزمخشري وهو العالم البلاغي — ما يؤكد أنه لا توجد فاصلة لتحسين الكلام وحده ، قال : (ذكر الزمخشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع ، السلسة على اللسان الا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعاني ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة في فتيل أو نقير ، ومع ذلك يكون قوله تعالى « وبالآخرة هم يوقنون » وقوله: « ومما رزقناهم ينفقون » لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثارا للفاصلة ، لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته ، وانما عدل الى هذا القصد الاختصاصي » .

ولا شك أن العرب الذين سمعوا القرآن لأول مرة كانوا بفطرهم السليمة يدركون بلاغة الفاصلة في موقعها ، ولم نسمع عن أحد ممن خاصموا القرآن ، أو خاصموا الاسلام أن فاصلة من الفواصل كان أولى بمكانها فاصلة أخرى ، وهذا يدلنا على أن الفطرة اللغوية السليمة أقرت كل فاصلة في موقعها ، فالقول بأن الفواصل قد تجىء لمجرد التفنن ، أو لاجتناب التكرار ، أو لتحسين اللفظ قول لا حظ له من القبول ، وانما الحق الذى ينبغي أن يصار اليه أن لكل فاصلة سرا بلاغيا ، ولا يعكر على ذلك أن الباحث قد يجهد جهده ثم لا يصل الى هذا السر ، فقد يجىء من يهديه الله اليه .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية